Journal of the University of Babylon for Humanities مَجلّةُ جَامعةِ بَابِل للعُلومِ الإنسَانيّة
Vol.32 / No.3/ 2024 المجلد ٣٢ / العدد ٣/ ٢٠٢٤

كتاب "الإمتاع والمؤانسة" في ضوء نظرية التلقي

وليد جاسم الزبيدي
كلية طب الأسنان/ جامعة المستقبل
Waleed.Jasim.Abbas@uomus.edu.iq

تاريخ استلام البحث: ٢٠٢٣/١٠/١٦ **تاريخ قبول النشر:** ٢٠٢٣/١١/١٣ **تاريخ نشر البحث:** ٢٠٢٤/٣/٢٠

المستخلص:

يهدفُ هذا البحث، تعريف المتلقي بتراث الفكر العربي، أبان القرن الرابع الهجري، مع مصدر من أمّات الكتب العربية، وكاتب ومفكر عتيد هو (أبو حيّان التوحيدي) في كتابه (الامتاع والمؤانسة)، وفق رؤى ومنظور قراءة عصرية في القرن الحادي والعشرين.

ونحنُ نعيش في زمن ازدياد المجالس والمنتديات الثقافية التي نأمل فيها ومنها أن ترتقي بالواقع الثقافي وتسهم ايجابا بالمشهد الثقافي العراقي والعربي. سنطّلعُ عن طرق الحوار والاقناع والحِجاج للوصول الى الحقيقة.

كتاب (التوحيدي) يكشفُ لنا صورة ومستوى المجتمع والمجالس والعلماء والوزراء الذين عاصرهم، ليكون صورة عصره، ونتعرف على كيفية تصدي الكاتب للرأي والفكر الآخر.

وقد توصلتُ الى نتائج ستجدونها في خاتمة البحث منها:

١-إنّ الكتاب لم يكن مرتجلاً، بل أخضعه الكاتب لعمليات التدقيق والتصويب والحذف والاضافة.

٢-في الكتاب أخبار وعلوم ومعارف لم تُذكر في كتب الأمالي والحكايات والمجالس.

٣-أثبتَ (التوحيدي) مقدرته العلمية وذاكرته الموسوعية طوال أربعين ليلة في مجلس الوزير (ابن سعدان).

٤-في الكتاب: جمالية أسلوب واتقان في السرد وايضاح الغموض واتمام النقص.

٥-من سمات (التوحيدي) الخوف في نشر بعض كتبه، لأنه يذكر فيها مثالب وعيوب ويتعرض لأصحاب السلطة وعلماء عصره.

الكلمات الدالة: نظرية التلقي، التوحيدي، الامتاع والمؤانسة، أدب، تراث فكري، القرن الرابع الهجري.

Al-Imta' wal Mu'anasa Book Reviewed in the Light of Reception Theory

Walid Jassim Al-Zubaidi
Babylon College of Dentistry/ Al-Mustakbal University

Abstract

This research aims to introduce the recipient to the heritage of Arab thought, during the fourth century AH, from the main Arabic books, and an established writer and thinker, Abu Hayyan al-Tawhidi, in his book Al-Imta' wal Mu'anasa, (Enjoyment and Sociability), according to the visions and perspective of modern reading in the twenty-first century.

We live in a time of increasing cultural councils and forums, which we hope will advance the cultural reality and contribute positively to the Iraqi and Arab cultural scene. We will learn about the methods of dialogue, persuasion, and argumentation to reach the truth.

Al-Tawhidi's book reveals to us the image and level of society, councils, scholars, and ministers that he lived with, to be an image of his era, and we learn about how the writer confronted other opinions and thoughts.

I have reached results that you will find in the conclusion of the research, including:

1-The book was not improvised, but rather the writer subjected it to

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

2-The book contains news, sciences, and knowledge that were not mentioned in the books of hopes, tales, and councils.
3-Al-Tawhidi demonstrated his scientific ability and his encyclopedic memory throughout forty nights in the council of the minister (Ibn Saadan).
4-In the book: aesthetic style and mastery in narration, clarifying ambiguity, and completing imperfections.
5-One of the characteristics of (Al-Tawhidi) is his fear in publishing some of his books, because he mentions shortcomings and defects in them and criticizes those of authority and the scholars of his time.

Key words: The theory of reception K- al-Tawhidi, Enjoyment and intercourse, Literature, Intellectual heritage, The fourth century AH.

المقدمة

في عصرنا –الذي نحياه– القرن الحادي والعشرون، وبعد العام ٢٠٠٣م، كثرت المجالس والمنتديات الأدبية في العراق، وكثر معها المتصدرون للمشهد، والغالب فيها، منْ لم يفقه أصول وفقه وثقافة المجلس والجليس، ليجد نفسه أعلى من الجميع، أو هناك منْ لم يطّلعْ على تراثنا الغني، ليعرض عمّا تطرحه الثقافات الأخرى ليمجدها، دون أن يعرف أسسها، واصولها الأولى، لذلك وجدتني أبحث في كتب المجالس والأمالي، والليالي، منها ألف ليلة وليلة، وليالي بيشاور، وكتاب د. يحيى الجبوري مجالس العلماء والأدباء والخلفاء وغيرها، عن آداب المجالسة وكيف يكون المتحدّث وشروط الجليس، وأدب وشكل المجلس، وأدب الإصغاء، أجدها ضرورية ومهمة في هذا العصر لنتعلّم منها ولنجعلَ من مجالسنا مناراً ننتفع منها لا ساحة للصراع أو الصراخ أو التباهي . فوجدتُ في كتاب (الامتاع والمؤانسة) ضالتي، ومنه اهتديت الى كتب المجالس لتكون مادّةً تضيف لي الكثير، وأجرّبُ قراءتي في القرن الحادي والعشرين لكتابٍ أُنجزَ سنة ٣٧٤هـ(القرن الرابع الهجري).

قرأتُ الكتابَ وفق فعل التلقي ودلالاته وحدوده، الذي يختلف من قارئ لآخر، وفق الفروق الفردية، والتكوين النظري والميول والرغبات، وانعكاسات الخزين الثقافي، آخذاً بالحسبان المستويات المعرفية للمتلقي والمحيط الثقافي وارتباطها بالقبول والرفض أو تغيير الاتجاه في النّص، وجدتُ دراساتٍ عدّة حداثوية في قراءة الكتاب، درسته من حيث السرد وشعرية النثر، وتشظي الأنا، والآخر في الكتاب، لذلك اخترتُ باب التلقي المختلف مع الآخر.

وجدتُ المُرسل وقد شاركهُ مرسلون، فلم يكن (التوحيدي) وحده، شاركهُ (الوزير) و(المهندس) في وضع وصياغة أسس الرسالة، أمّا الرسالة فهي تنوّعت شفاهية ومكتوبة، والمتلقي لم يكن واحداً، فكان المتلقي الأول (الوزير ابن سعدان) وعلماء مجلسه، ثم (ابو الوفاء المهندس)، ولمّا تم نشر كتابه(الامتاع والمؤانسة) أصبح الجمهور هو متلقٍ أخير.

والقراءة ظهرت لنا أسئلة تدور في الكتاب عموماً ومواضيعه ودور التوحيدي، وقمتُ بالإجابة وفق رؤيتي الشخصية التي اعتمدتُها باطلاعي فيما كُتبَ عن (التوحيدي).

وقسّمتُ البحث على مبحثين، الأول، مفاهيم ومفردات في الكتاب، عصره السياسي والعلمي والأدبي، والثاني منهج الكتاب وموضوعاته، قراءة المتلقي.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

-المبحث الأول:(مفاهيم ومفردات في الكتاب/ وعصر المؤلف).

وصف الكتاب/

صاحبُ الكتاب: هو (علي بن محمد بن العبّاس) أبو حيّان التوحيدي، والتّوحيدي، شيرازيّ الأصل وقيل نيسابوريّ، ويضيف ياقوت الحموي(ت٦٢٦ هـ) ووجدتُ بعض الفضلاء يقولُ لهُ الواسطي، صوفيّ السّمت والهيئة، قَدِمَ بغدادَ فأقامَ بها مُدّةً ومضى الى الرّي، ولُقّبَ (التوحيدي) أن أباهُ كانَ تاجراً متنقلاً، يبيعُ نوعاً من التمر المعروف(التوحيد)، وقيل لكونه من المتصوفة وكان يُطلق عليهم (الموحّدين) [١: ١٥].

وصَحِبَ الصاحب أبا القاسم إسماعيل بن عبّاد(ت٣٨٥ه)، وقبلهُ أبا الفضل بن العميد(ت ٣٦٠ ه)، وعمِلَ في مثالبهما كتاباً. وكانَ متفنّناً في جميع العلوم من النحو واللغة والشعر والأدب والفقه والكلام على رأي المعتزلة، وكانَ جاحظياً يسلكُ في تصانيفه مسلكه [٢: ١٥/٥-٦]. وهناك اختلافٌ في تحديد سنة وفاته، فيذكرها الذهبي(سنة ٤٠٠هـ)، والقزويني(سنة ٤١٤هـ).

مفاهيم ودلالات في الكتاب:

-الإمتاع/ الامتاع مفهوم يوحي بالراحة والإفادة، أصله ثلاثي المكوّنات (مَتَعَ)، ويتعدّى بطريقتين التضعيف فيصير (متّعَ) بتشديد التاء، ويتعدى بإضافة الهمزة في أوله وحينها يصير(أمتعَ)، ويقول ابن فارس: (الميم والتاء والعين أصل صحيح يدلّ على منفعة وامتداد في خير.) [٣: ٥/ ٢٩٣].

-المؤانسة/ وردَ في لسان العرب لابن منظور، أن الأنس هو: ضد الوحشة، والأنيس: كلّ ما يؤنس بهِ، وأنسَ أنيس وأنسَ: ألَفَهُ وسكَنَ قلبهُ به، ويقال يؤانس مؤانسة: لاطَفَهُ، ألفَهُ، وسلاه.

وبين الامتاع والمؤانسة، مواطن تقاطع وافتراق، وأن فيهما معاً المتعة والسرور، ويتميز الأنس بإبعاد الوحشة، واذا كان تسمية الإنسان من أنسه بصوته ووجوده [٤: ٦/١٤-١٥].

بين الإمتاع والمؤانسة: المفردتان يتّفقان ويختلفان، يتّفقانِ في إزالة الوحشة والقلق وإحلال الراحة والطمأنينة في النفوس، ويختلفانِ ويبتعدانِ في الخلفيات والطريقة، فالمُتعة منفعة متبادلة، وتعني وجود طرفين. وإذا حصلت المُتعة والفائدة تحقّقَ الأنس والطمأنينة.

-المُلحة/ مُستقاةٌ من مادة الملح(بكسر الميم وتسكين اللام)، في لسان العرب: الملح ما يطيب به الطعام. وفي معنى الملحة: الكلمة المليحة.

والمُلحة، ركنٌ سردي مهم، تأتي في نهاية معظم الليالي، يطلبها الوزير(ابن سعدان) من (التوحيدي) لتكون مسك الختام، وهي محطة للاسترخاء والفكاهة والترويح وهي عبارة عن خبر و رواية حادثة أو شعر، وتُسمى (مُلحةُ الوداع).

-الليالي/ (ولا الليلُ سابقُ النهار)-سورة يس: ٤٠؛ - (وجعلنا الليلَ لباساً)- سورة النبأ: ١٠.

تعددت المعاجم اللغوية التي أظهرت معاني لفظة "ليل"، ومن أبرز معانيها: الفترة الزمنية، فترة غياب الشمس، فالليل خلاف النهار، يقال: ليلة وليلات، ويقول ابن منظور: الليل عقيب النهار، ومبدؤه من غروب الشمس، وفي التهذيب: الليل ضد النهار، والليل ظلام الليل، والنهار الضياء، وليلة ليلاء وليلى: طويلة شديدة

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

صعبة، وقيل: هي أشد ليالي الشهر ظلمة، وبه سُمِّيت المرأة ليلى، وقيل الليلاء ليلة ثلاثين، وليل أَلْيلُ ولائل، وقليل كذلك، قال: وأظنهم أرادوا بمليل الكثرة، كأنهم توهموا لُيِّلَ؛ أي: ضعف ليالي.

وهذا الموضوع يحتاج إلى دراسات معمَّقة، فهو واسع المحتوى والمضامين، ومع أنها لفظة(ليالي)، فإنها غنية بالدلالات التي تَعجِز مثلُ هذه الأسطر أن تلمَّ ببعض ما ورد فيها من معانٍ ودلالات. فقد وردت بمعانٍ ودلالات مختلفةٍ في القرآن الكريم، وفي الحديث النبوي الشريف، وفي المأثور العربي، وفي الشعر والنثر. حظِي الليل في التراث الشعري بنصيب وافر، وقد أخذ في خيال الشعراء صوراً متنوعة، واستُخدِم رمزاً للدلالة على ما رسمتْه مُخيلة الشعراء؛ حيث يُطوعون بملكتهم الشعرية اللغة، فيصورون الليل بما يحلو لخيالاتهم وعقولهم، فمنهم من صور الليل بؤرة الهموم ومفتاحاً للمعاناة، ومنهم من جعل الليل عنوان الشباب ورمزاً للفتوة والحيوية والنشاط، ومنهم من رآه خزينة الأسرار وملتقى الأحباب والعشاق.

الليالي في تراثنا الفكري والأدبي العربي كثيرةٌ بعددِها وتسمياتها، في مجالس الخلفاء والوزراء والأمراء والولاة، وحلقات الحِجاج والذّكر والمعارضات والمناظرات، وحملت لنا المخطوطات والكتب والرسائل العديد منها، في الحكايا، مثل ألف ليلة وليلة، والقص في أخبار الفرج بعد الشدة للتنوخي، والمستطرفات، مثل كتاب المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي، وكتب النوادر، والمقامات، وكتب الأمالي التي تزخر بكل طريف وظريف.

الليالي في كتاب الامتاع والمؤانسة: قسّمَ (التوحيدي) كتابه(رسالته) الى ليالي، ولم يقسّمْهُ الى أبوابٍ أو فصول، وأصل الليالي هي جلسات سمر، في مجلس الوزير(ابن سعدان)، وهذه الليالي بكتابتها قد تطول وتقصر، باختلاف الموضوع والحوار والمساجلة. اختلفَ الباحثون في عدد الليالي في الكتاب، فجعل بعضهم عدد الليالي(٣٧) ليلةً، والبعض الآخر وهو الأكثر صحة (٤٠) ليلةَ.

والصّيغ التي وظّفها (التوحيدي) في كل ليلة، تراعي مناسبة الموضوع، فكانت أقوال الوزير على سبيل المثال(حدّثني، هاتِ شيئاً من الغزل، صِفْ هذا، ..ارو لي، أجزم، أفصل، أنشدني، أكتب لي رقعة)، ومن أقوال (التوحيدي) في الليالي: (قالَ لي، سألني، قلتُ لهُ، أجبتُهُ..).

ونهلت الآدابُ العالمية وتأثرت بتراثنا الفكري والأدبي، خصوصاً في كتب الليالي، ومنها (ألف ليلة وليلة)، مثل الديكاميرون لبوكاتشيو(هي عبارة عن مجموعة من الروايات التي كتبها المؤلف الإيطالي جيوفاني بوكاتشيو في القرن الرابع عشر (١٣١٣م– ١٣٧٥م). صُمم الكتاب كقصة إطارية تحتوي على (١٠٠) حكاية ترويها مجموعة مؤلفة من سبع شابات وثلاثة شبان يلتجؤون في فيلا معزولة خارج فلورنسا هرباً من الموت الأسود الذي أصاب المدينة.)، وكتاب الخطابات الفارسية لمونتسكيو(الرسائل الفارسية هي رواية رسائلية للكاتب الفرنسي مونتسكيو يتبادل فيها شخصيتان خياليتان من الإمبراطورية الفارسية ؛ وهما يزبك وريكا، يتبادلان الرسائل بعد انطلاقهما في رحلة إلى أوروبا.) ، وكتاب المغامرات الى حاجي بابا جوستنين موريي والاسباني لوب دي فاجا، استلهم شخصيات حلاّق بغداد وعلاء الدين في مسرحياته، بل وأن اوجه الشبه موجودة في الملاحم والأساطير أيضا في الإلياذة والإنياذة لهوميروس وفيرجل.

الكتاب:

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وصف الكتاب: كتاب (الإمتاع والمؤانسة)، تأليف: أبو حيّان التوحيدي، اضطلعَ بتحقيقه، أحمد أمين وأحمد زين، وهو في ثلاثة أجزاء، صدرت في السنوات ١٩٣٩ إلى سنة ١٩٤٤ على التوالي، وهو الكتاب محط الدراسة، واحتوى الكتاب على أربعين ليلة.

الكتابُ ثلاثي الأقطاب، المؤلف (التوحيدي)، وأبو الوفاء المهندّس الذي قرّبَ (التوحيدي) من الوزير، والوزير أبو عبد الله بن سعدان، وأصل الكتاب جلسات وليالي مشافهة في أغلبها ولم يكن تدويناً، بل جاءت فكرة التدوين بطلب (أبو الوفاء المهندس) من (التوحيدي) بكتابة وتدوين كل ما حدث بينه وبين الوزير طيلة الليالي الأربعين، ولم يُكتبْ دُفعةً واحدة بل على شكل أجزاء ويتم ارسالها الى (أبو الوفاء المهندس) على يد غلامهِ (فائق)، أُنشئت الرسالة–الامتاع والمؤانسة– في رجب سنة ٣٧٤هـ. وكانت الليالي في مجلس الوزير(ابن سعدان) وزير صمصام الدولة البويهي (حكمه من ٣٧٣هـ الى ٣٧٥هـ).

–عصرهُ السياسي/القرن الرابع الهجري، شكّلَ علامةً للضعف والوهن والتفكك للدولة الاسلامية، وتولّى الترك قيادة وإدارة أمور الدولة ولم يبق للخليفة إلا الاسم والصفة الدينية، منذ تولّى المتوكل الخلافة سنة ٢٣٢هـ، وصار بقاء الخليفة أو عزله رهناً بيد اولياء العهد من الترك. وفي هذا العصر تمزّقت الخلافة الى دويلات، ولم يبقَ للخليفة إلا بغداد وملحقاتها [٥: ٥٥٣]؛[٦: ٨/ ٢٤١]؛[٧: ٢١٥].

–ثقافته ومرجعياته: عاش(التوحيدي) عصرا ذهبياً للحركة العلمية والأدبية، يقول د. أحمد محمد الحوفي في كتابه: (من الحقائق المقررة في تتبع الحركات العلمية والأدبية أنها لا تتماشى مع العصور السياسية مشي التلازم المحض، فتطفر مع السياسة وتهبط بهبوطها، لأنّ السياسة حركة قد تجئ مفاجئة، وقد تجئ على مهلٍ وتدبير. أما الحركة العلمية والأدبية فلابدّ لها من تمهيد طويل. ومن هنا ضعفت الدولة سياسياً، لكن النشاط العلمي والأدبي دأب في طريقه الى غرضه [٨: ١/ ١٦].

ثمّ أنّ الملوك والأمراء(البويهيين) الذين صاروا قائمين بشئون الحكم والسياسة وجدوا الخير في تقريب العلماء وتشجيع الأدباء ليضفوا على ملكهم هالة من الأبهة والمجد ليسيرَ ذكرهم في الناس، أو يتّخذون من العلماء والأدباء أعواناً لهم في شئون المُلك والسياسة، حتى صارت العواصم تزخر بكبار رجال العلم والأدب وتنافس بغداد وحلب وقرطبة والقاهرة وأصفهان... وتمّ في القرن الرابع نقل الفلسفة اليونانية الى العربية، وكثُرت المكتبات، واستكملت العلوم أسباب النضج والنماء.

وامتازتْ ثقافة (التوحيدي) بالتنوّع والموسوعية، كما هو حال الجاحظ(ت ٢٥٥هـ)، ومن روافدها:

١– استقى ثقافته من الكتب التي قرأها ونسخها، وهو ناسخ ينسخ بإجادةٍ واتقانٍ. وجاء ذلك أنه استقاها من حرفة الوُراقة التي كان يشتغل فيها ويسّرتْ له أن يطّلعَ على النادر النافع من الكتب.

٢– كان همّهُ الاشتغال في البحث والدرس ومجالسة العلماء والتردد على مجالسهم والأخذ من المشهورين منهم.

٣– من ألوان ثقافته: الفلسفة، الفقه والحديث، اللغة والنحو، علم الكلام.

– شيوخُه: من حضوره المجالس واختلاطه بالتلاميذ والعلماء، التقى(التوحيدي) بعدد من العلماء الذين أثّروا بشخصيته وتأثّرَ بهم، ومنهم: الشيخ أبو سعيد السيرافي (ت٣٦٨هـ) حيث تتلمذ على يديه في اللغة والنحو، وعلى

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

يد الشيخ أبو سليمان المنطقي(ت٣٩٠هـ) في المنطق والحكمة والفلسفة، وعلي بن عيسى الرمّاني(ت ٣٨٤هـ)، فمن هذا الكل استقى (التوحيدي) علومه ومعارفه. ولم تخلُ صفحات كتابه من ذكر آراء شيوخه.

علاقته بالوزراء والأعيان: اتّصلَ (التوحيدي) بالوزراء والولاة، وحضر مجالسهم، ومنهم: أبو الفتح ابن العميد(ت ٣٦٦ه)، الملقّب بـ(ذي الكفايتين): من الكتاب الشعراء الأذكياء، يلقب بذي الكفايتين. وهو ابن أبي الفضل(ابن العميد) الوزير العالي الشهرة (المُتوفى سنة ٣٦٠هـ) خلف أباه في وزارة ركن الدولة البويهي بالري ونواحيها (سنة ٣٦٠) ولقبه الخليفة الطائع لله بذي الكفايتين (السيف والقلم) واستمر إلى أيام مؤيد الدولة (ابن ركن الدولة) وأحبته القواد وعساكر الديلم، لكرمه وطيب أخلاقه، فخاف آل بويه العاقبة، فقبض عليه مؤيد الدولة وعذبه ثم قتله. وأخباره كثيرة، على قصر مدته [٩: ٤/٣٢٥].

والوزير (ابن عبّاد ت ٣٨٥ه): لصاحب أبو القاسم إسماعيل بن أبي الحسن عباد بن العباس بن عباد بن احمد ابن إدريس الطالقاني؛ كان نادرة الدهر وأعجوبة العصر في فضائله ومكارمه وكرمه، أخذ الأدب عن أبي الحسين أحمد بن فارس اللغوي صاحب كتاب " المجمل "في اللغة، وأخذ عن ابي الفضل ابن العميد، وغيرهما.

وقال أبو منصور الثعالبي في كتابه اليتيمة في حقه: ليست تحضرني عبارة أرضاها للإفصاح عن علو محله في العلم والأدب، وجلالة شأنه في الجود والكرم، وفرده بالغيات في المحاسن، وجمعه أشتات المفاخر، لأن همة قولي تنخفض عن بلوغ أدنى فضائله ومعاليه، وجهد وصفي يقصر عن أيسر فواضله ومساعيه. ثم شرع في شرح بعض محاسنه وطرف من أحواله [٦: ١٦٨]؛[١٠: ١/٢٢٨]؛[١١: ٣/١٩٢].

وقد ذمّ (التوحيدي) الوزيرين (ابن العميد وابن عبّاد) في كتابهِ (مثالب الوزيرين).

أعمدةُ الكتاب: تركّبَ قِدرُ الكتاب على ثلاثة أثافي، الأول، الكاتب(التوحيدي)، وصديقه (أبو الوفاء المهندس) الذي قرّبَهُ الى الوزير، والركن الثالث، هو الوزير (أبو عبد الله ابن سعدان) الذي كان مجلسه ميدان الليالي التي حضرها ووثّقها التوحيدي. فكان المبحث الأول في وصف الكتاب ومفاهيم ودلالات في الكتاب، والمبحث الثاني خُصّص للكاتب (التوحيدي) وحياته. وسيكو هذا المبحث للحديث عن أعمدة الكتاب، واسلوب ومنهج المؤلف، والليالي وشروطها، وموضوعاتها.

-أبو الوفاء المهندس(٣٢٨هـ- ٣٨٧هـ): هو أبو الوفاء محمد بن محمد بن يحيى بن اسماعيل ابن العباس البوزجاني، عالم رياضيات، مسلم من خراسان، وعالم فلك عمل في بغداد. أحد الأئمة المشاهير في علم الهندسة، وله فيه استخراجات غريبة لم يسبق بها، وكان شيخنا العلامة كمال الدين أبو الفتح موسى بن يونس، تغمده الله برحمته وهو القيم بهذا الفن، يبالغ في وصف كتبه ويعتمد عليها في أكثر مطالعاته، ويحتج بما يقوله. وكان عنده من تواليفه عدة كتب. وله في استخراج الأوتار تصنيف جيد نافع. وكانت ولادته يوم الأربعاء مستهل شهر رمضان المعظم سنة ثمان وعشرين وثلثمائة، بمدينة بوزجان. وتوفي سنة سبع وثمانين وثلثمائة.

- أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان، وزير صمصام الدولة البويهي(ت ٣٧٥ه): وثبت أمر صمصام الدولة وسعى إليها بابن سعدان الذي كان وزيره فعزله وقيل انه كان هواه معهم فقتل ومضى أسفار إلى الأهواز واتصل بالأمير أبي الحسن بن عضد الدولة وخدمه وسار باقي العسكر إلى شرف الدولة. وابن سعدان هذا استوزره صمصام الدولة البويهي سنة ٣٧٣ لما تقلد الأمور بعد وفاة أبيه عضد الدولة. جاء في كتاب «ذيل تجارب الأمم

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

لأبي شجاع»: «وفيها [أي في سنة ٣٧٣] خلع على أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان خلع الوزارة– وكان رجلا باذلا لعطائه، مانعا للقائه، فلا يراه أكثر من يقصده إلا ما بين نزوله من درجة داره إلى زبزبه، ومع ذلك فلا يخيب طالب إحسان منه في أكثر مطلبه ...

فبسط يده في الإطلاقات والصلات... وأحدث من الرسوم استيفاء العشر من جميع ما تسبب به الأولياء والكتّاب والحواشي من أموالهم ... وانضاف إلى ضيق خلقه ما اتفق في وقت نظره من غلاء سعر، فتطيرت العامة ورجموا زبزبه، وشغّبوا الديلم عليه، وهجموا على نهب داره، وانتهت الحال إلى ركوب صمصام الدولة إلى مجتمعهم حتى تلافاهم وردّهم».

وقد ظل ابن سعدان في الوزارة إلى سنة ٣٧٥ه حتى ظهر له خصم هو أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف، فظل يكيد له وينصب الشباك للإيقاع به.

وحدث أن (ابن سعدان) أراد أن يعيّن أباه كاتبا لوالده صمصام الدولة لما مات كاتبها، فقال أبو القاسم لصمصام الدولة: «إن ابن سعدان قد استولى على أمورك، وملك عليك خزائنك وأموالك، فإذا تم له حصول والده مع السيدة حصلنا تحت الحجر معه». وتمت المكيدة ولم يعيّن أبوه. ثم قبض على ابن سعدان وأصحابه وأودعوا السجن، واستوزر صمصام الدولة هذا الواشي أبا القاسم عبد العزيز بن يوسف، ولم يكتف أبو القاسم بمجلس ابن سعدان فانتهز فرصة خروج ثائر على صمصام الدولة اسمه «أسفار ابن كردويه» يريد خلعه، فدس أبو القاسم إلى صمصام الدولة أن ابن سعدان متصل بهذا الثائر وأن الذي جرى كان من فعله وتدبيره"[١٢:ح].

ولم يكن لقاء (التوحيدي) بالوزير (ابن سعدان) الأول في(ليالي الامتاع والمؤانسة)، بل كانت بينهما لقاءات ومكاتبات قبل أن يكون (ابن سعدان) وزيراً، وقد سبق أن نسخ (التوحيدي) للوزير كتاب (الحيوان) للجاحظ، وألّفَ له رسالة(الصداقة والصديق).

–الكتاب/ اختطّ الأدباء على مدى العصور، بكتابة وإهداء الكتب الى الخلفاء والوزراء وذوي الشأن، للحصول على الجوائز والعطايا، ولكنّ هذا المصنّف أو(الرسالة) التي كتبها(التوحيدي) بأجزائها الثلاثة كانت الى أبي الوفاء المهندس البوزجاني، الذي أراد أن يكون حاضرا في كل الليالي التي قضاها (التوحيدي) مع الوزير، لأنه كان سبباً في وصوله الى مجلس الوزير(ابن سعدان)، وكان مجلس الوزير ساحة الليالي التي عاشها (التوحيدي) وسامر بها الوزير أربعين ليلةً . والكتابُ هو إحياءٌ للتراث العربي وتوثيق لكل رواية في مختلف العلوم والمعارف من مضانه الأولى، وتسجيل لمنجز علماء عصره، في زمنٍ شاعت وكثرت فيه مجالس العِلم والمناظرات. واجتهدَ فيه (التوحيدي) أن يسطّر فيه ما اختزنته ذاكرته من آراء ومعارف. وكان الكتاب اجابات (التوحيدي) عن أسئلة (الوزير)، وكان يسندُ كل خبر ورأي لصاحبه، ونقل عن أرسطو والأصمعي.. وذكر كلام الاسكندر وسقراط وأفلاطون وأبقراط. ويتّصفُ (التوحيدي) بأمانته في الرواية والنقل والوصف.

المبحث الثاني(منهج الكتاب وموضوعاته/ وقراءة المتلقي)

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

–المسامرة وشروطها: في مجالس الخلفاء والوزراء والأمراء يتّخذ صاحب الشأن، نديماً أو سميراً أو جليساً لهُ، ويشترطُ في هذا الجليس: أن يكونَ أديباً مثقفاً من الطراز الرفيع، حسنُ الشكل والصفات والمواهب، ويكون مستشاراً ناصحاً، ومسلّياً مؤانساً، وكان الأدباء والعلماء يتوقون الى هذه المكانة، لأنّ فيها من الجاه والراحة والمكاسب المادية والمعنوية.

وقد وردتْ آداب المجالس في المجلس والجليس، في تراثنا العربي، في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والسيرة النبوية، والموروث، من الحديث النبوي الشريف((مثلُ الجليس الصالح مثلُ الدّاري إن لم يُحذِكَ من طيبهِ علَقَكَ من ريحه، ومثلُ جليس السوء مثلُ الكير إنْ لم يحرقْكَ بشرار نارهِ علَقَكَ من نتنه.)) [١٣: ١/٣٥٣].

وذكر د. يحيى الجبوري، في كتابه (مجالس العلماء والأدباء والخلفاء–مرآة للحضارة العربية الاسلامية) عدد من هذه المجالس، وما تحمله من أخبار ومحاضرات ومناظرات وعلوم مختلفة ننتفعُ منها، فهناك حديث عن صاحب المجلس، كما جاء في الحديث النبوي الشريف ((الرجلُ أحقّ بصدرِ دابّتهِ، وصدرِ مجلسهِ، وصدرِ فراشه، ومنْ قامَ من مجلسهِ ورجعَ اليهِ فهو أحقّ به.)). وهناك أخبار وأحاديث عن اكرام الجليس، وقد (يَكرِمُ صاحبُ المجلس جليسَهُ بأن يعطيهِ وسادة يجلسُ عليها، فلا يردّها لأنها مكرمة لا تُردّ). ومن آداب الجليس أن يصغي الى محدّثهِ ويقبل عليه بوجهه، وتم ذكر شكل المجلس ورسومه، وأن المجالس الواسعة هي المستحبة والمحمودة، وذكروا في الأخبار وجود (المستملي) وذكروا شروط وآداب المستملي، يدوّن ما يدور من أحاديث وأخبار، وضرورة عدم الإطالة بالحديث كي لا يمل السامع، وآداب الاستئذان على المُحدّث، وآداب المُحدّث، وآداب السماع،..وكيفية ختم المجلس بالحكايات والنوادر والانشاد لينشط السامع وتتروح القلوب، وهناك سُنن متبعة عند الخلفاء بطريقة ختم المجلس بقول محدّد يكرره، أو بإشارة منه [١٤: ٢٢،٢٦،٦٥] .

وكانت من شروط الوزير(ابن سعدان) على (التوحيدي) في مجالسته [١:١٢/٢٠–٢١]:

١–تاقتْ نفسي لحضورك للمحادثة والتأنيس.

٢– لأتعرّفَ منكَ أشياءَ كثيرةً مختلفةً تردّدُ في نفسي على مرّ الزمان.

٣– أجبني عن ذلك كله باسترسال وسكونِ بال؛ بملء فيك وجمّ خاطرك وحاضر علمك، ودعْ عنكَ تفنّن البغداديين، مع عفو لفظك، وزائد رأيك، وربح ظنك.

لا تجبُنْ جُبنَ الضعفاء، ولا تتأطر تأطر الأغبياء، وأجزم إذا قلت، وبالغ اذا وصفت، وأصدق إذا أسندت، وآفصلْ اذا حكمتَ.

٤– كنْ على بصيرةٍ أني سأستدلّ مما أسمعه منك في جوابك عمّا أسألك عنهُ على صدقكَ وخلافه، وعلى تحريفك وقرافه.

شروط (التوحيدي) في المجالسة:(يؤذنُ لي في كاف المخاطبة، وتاء المواجهة، حتى أتخلص من مزاحمة الكناية ومضايقة التعريض، وأركبَ جَدَد القول من غير تقيّة ولا تَحاش ولا مُواربة ولا انحياش.) [١٢: ١/٢٠].

منهجُ التوحيدي في الكتاب:

١–قسّمَ الكتابَ الى ليالٍ، يدوّنُ فيها ما دارَ بينهُ وبين (الوزير).

٢–من سمات منهجه المرونة وتقبّل الآخر المختلف.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

٣- جمالية الإسلوب الأدبي في الكتابة واتقان السرد، ويحتذي حذو (الجاحظ) في الاطناب في تصوير الفكرة، وأغمض اسلوبه في الكتاب أثناء تعرضه لمسائل فلسفية عميقة، قد عزّت على البيان ودقّت عن الايضاح. فاذا هو خرجَ من هذه الموضوعات الدقيقة الى موضوعات أدبيةٍ جرى قلمهُ وسال سيلهُ وأجادَ وأبدعَ.

٤-يسندُ كلّ ورواية ورأي الى صاحبه.

٥ -البحث في العلِل والأسباب والاحتفاء بالفكرة والجري وراء الحقيقة.

٦-سَرَدَ في حواشي الكتاب أعيان الأحاديث التي خدمتِ المجلس.

٧- شرحَ الغامضَ وصلة المحذوف، واتمام النقص.

٨- ختمَ أغلب لياليه بـــ(مُلحة الوداع) حسب طلب (الوزير)، وأن تكون شعراً بدوياً.

٩- يذكرُ(التوحيدي) في كتابه، كل تعليق للوزير إن كانَ بالاستحسان أو الاستهجان، مع ذكر اسباب ذلك.

١٠- الرد على أسئلة (الوزير) يتطلب بعض الأحيان كتابته برقعة حسب طلب الوزير لينظر فيها أو يعرضها على آخرين.

١١- قد يطلب (الوزير) أحياناً من (التوحيدي)، التفكير والاجابة على مهل واللقاء ببعض العلماء، حيثُ يدفهُ اليه برقعةٍ فيها أسئلة.

جهود(الوزير ابن سعدان ت ٣٧٥هـــ) في الليالي: من قراءتنا للكتاب، وجدنا إن إدارة الليالي وتسيير دفتها بيد الوزير(ابن سعدان)، فهو المتحكم في توجيهها، وهذه دلالة على علمه وعلومه ومعرفته، واطلاعه على المصنفات والآراء المختلفة في مسائل متنوعة، وجد في (التوحيدي) مبتغاه ليفك رموز ما غمض. وتتلخصُ جهوده:

١-يقترحُ الموضوع ويضع الأسئلة.

٢- اجابات (التوحيدي) تثير أحياناً أفكاراً ومسائل عند الوزير فيستطرد اليها ويسألهُ عنها.

٣-يسأل الوزيرُ (التوحيدي) أن يأتيهِ بطُرفة من الطرائف يسميها (مُلحة الوداع).

٤-لا يقفُ(الوزيرُ) صامتاً أمام ما يطرحهُ (التوحيدي)، فكانَ يُعلّقُ على الإجابةِ بالاستحسان أو الاستهجان مع ذكر أسباب ذلك.

٥-يكلّفُ أبا حيّان في تحضير رسالة في موضوع ثم يتلوها في جلسة مقبلة.

٦-يطلبُ من (التوحيدي) كتابة الاجابة لمسألةٍ ما على رقعة.

٧- يحدثُ أحياناً أن يدفع الى أبي حيّان رقعةً فيها أسئلة يطلب أن يفكّر في الاجابة عنها أو عرضها على بعض العلماء.

موضوعات الكتاب/ يقول (أحمد أمين) في مقدمته للكتاب: (وموضوعات الكتاب متنوعة تنوعاً ظريفاً لا تخضع لترتيب ولا تبويب، وإنما تخضع لخطرات العقل وطيران الخيال وشجون الحديث. حتى لنجدَ في الكتاب مسائل من كل علم وفن ، فأدب وفلسفة وحيوان ومجون وأخلاق وطبيعة وبلاغة وتفسير، وحديث وغناء ولغة وسياسة وتحليل شخصيات لفلاسفة العصر وأدبائه وعلمائه وتصوير للعادات وأحاديث المجالس)[١٢:س].

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

ويقول (أحمد محمد الحوفي)[٤٨/٢:٦]:(ليس للكتابِ موضوعٌ واحدٌ ينسّقهُ في فكرةٍ أو حول فكرة، وإنما هو أفانين من المعرفة والثقافة لا يربطها رابط موضوعي، فهو اجابات عن أسئلةٍ شتى، كانَ يعدّها(ابن سعدان) في نفسه أو كان يلقيها عفو خاطر.).

هل كان (التوحيدي) سميراً وجليساً ناجحاً؟: كُنّا قد عرضنا في افتتاح هذا المبحث(الثالث)، شروط النديم أو الجليس، فمن قراءتنا لآراء شيوخه ومنْ كتبَ عنه ستكون الاجابة.

يقول (أبو الوفاء المهندس ت ٣٨٧هـ):(..وأنتَ غِرٌّ لا هيئةَ لك في لقاء الكُبراء، ومحاورة الوزراء، وهذه حالٌ تحتاجُ فيها الى عادة غير عادتك، والى مران سوى مرانك، ولِبْسَة لا تشبهُ لِبْستَك، وقلَّ منْ قُرّبَ من وزيرٍ خَدَمَ فأجاد، وتكلّمَ فأفاد، ولستَ أنتَ أوّلَ منْ بُرّ فَعَق، و لا أنا أوّلُ منْ جُفيَ فنقّ، وهذا فراقٌ بيني وبينك، وآخر كلامي معك، وفاتحةُ يأسي منك، قد غسلتُ يدي من عهدك بالأُشنان البارقيّ، وسلوتُ عن قربك بقلبٍ معرضٍ وعزمٍ حيّ.) [١٢: ١/ ٥-٧].

وقولُ (ياقوت الحموي ت ٦٢٦ه) في التوحيدي:(سخيفُ اللسان، قليلُ الرّضا عند الإساءة إليهِ والإحسان، الذّمُ شأنه، والثّلبُ دُكّانُه،..) [٢: ١٥/ ٥-٦].

ويقولُ عنهُ شيخهُ (أبو سعيد السيرافي ت ٣٦٨ه): (تأبى إلاّ الاشتغالَ بالقَدْحِ والذّمّ وثَلْبِ النّاس.) [٢: ١٥/ ٩].

لو أعدْنا قراءة شروط ومواصفات النديم أو الجليس عند الخلفاء والوزراء في هذا المبحث، وما ذكرتْهُ كتب تاريخ الأدب العربي، لم نجد أي خِلة من الخلال المطلوبة موجودة عند (التوحيدي)، فضلاً عمّا ذكرهُ المعاصرون له من الشخصيات والعلماء، كما ورد في أعلاه. فبموجب المعطيات نقول أنه لم يكنْ جليساً صالحاً..؟ ولكن..؟ كيف استمرّ أربعين ليلةً جليساً للوزير؟ يبدو لي أن المسألة ترتبطُ بعقلية وتصرّف الوزير، الذي كان هدفه من المجالسة جانباً عقلياً وفكرياً، ولعلمه بشخصية (التوحيدي) بمحاسنها ومساوئها، وعلاقاته بالعلماء والأدباء، وما يمتلك من تجربةٍ متراكمةٍ لإشتغاله في سوق الورّاقين، واطلاعه على عديدٍ من المصنّفات. وعبر الليالي وما دوّنهُ(التوحيدي) يذكر اعتراضات (الوزير) وآراءهُ في الموضوعات والمساجلات، وقيام الوزير بفتح آفاق جديدة في الكشف والتحليل وغربلة المتوارث من المعارف. وما يعترضُ عليه الوزير على ما يقوله (التوحيدي): (هذا تحايلٌ لا أرضاهُ لك، ولا أُسْلمهُ في يدك، ولا أحتملهُ منك،..) [١٢: ١/ ٣٢]. وقول (الوزير) مخاطباً (التوحيدي): (غالب ظنّي أن نصراً غلامَ خواشاذه ما هربَ من فِنائي إلا برأيك وتجسيرك..)[١٢: ١/٥١]. وفي قول (الوزير) الى (التوحيدي) في مكانٍ آخر:(وكُنْ على بصيرةٍ أنّي سأستدلّ ممّا اسمعهُ منكَ في جوابك عمّا أسألك عنه على صدقك وخلافه، وعلى تحريفك وقِرافه)[١٢: ١/ ٢٠].

على ما ذكرنا من استهجان (الوزير) في بعض آراء وحوارات (التوحيدي)، إلا إننا لا نعدم وجود عبارات كثيرة من استحسان (الوزير) لما يذكره (التوحيدي). نلاحظُ أن مسامرة (التوحيدي) دامت أربعين ليلةً بفضل علمه وحافظته. ونجحَ (التوحيدي) كل النجاح في ايصال أفكار وآراء شيوخه وبينها آراؤه. ونستنتج أن هدف المنادمة والمجالسة، غرض علمي وفكري بحت، انتهت بانتهاء أسئلة وموضوعات الوزير.

لماذا يقلقُ ويتخوّفُ (التوحيدي) من نشر كتابه؟

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

ظهرَ جليّاً لنا في الكتاب، تخوّفه من نشر ما كتبهُ في الليالي الأربعين، وقد ذكرَ ذلك في مقدّمة الكتاب في الجزء الأول، موجّهاً كلامه الى (أبو الوفاء المهندس) حيثُ أرسل اليه ما كتب: (فإنّي أهدي ذلك كلّه بغثاثته وسمانته، وحلاوته ومرارته، ورقّته وخثارته في هذا المكان، ثم أنتَ أبصرُ بعد ذلك في كتمانه وافشائه، وحفظه وإضاعته وستره وإشاعته..)[١٢: ١/ ١٢].

ويكرّرُ تخوّفه وقلقه بما يرسلهُ الى (أبو الوفاء المهندس) في الجزء الثاني من الكتاب، حيث يقولُ: (وأنا أسألُكَ ثانيةً على طريق التوكيد، كما سألتُكَ أوّلاً على طريق الاقتراح، أن تكونَ هذه الرسالة مَصونةً عن عيون الحاسدين العيّابين، بعيدةً عن تناول أيدي المفسدين المنافسين، فليسَ كلّ قائمٍ يَسْلم، ولا كلّ سامع يُنصِف، ولا كلّ متوسطٍ يُصلح، ولا كلّ قادمٍ يُفسَحُ لهُ في المجلس عند القدوم)[١٢: ٢/ ١].

فما مصدر القلقِ والخوف..؟

وردَتْ في الكتاب أحاديث وآراء لــ(التوحيدي) عاب فيها أشخاصاً من رجالات الدولة الذين يستطيعون إيذاءه، كما جرّحَ أكثر معاصريه حتى الذين وصلته بهم صلات علمٍ ومودّة. ولم يسلم من قوارص كَلِمِه حتى الذين أحسنوا اليه. ووصفَ ندماء الوزير(ابن سعدان) وصفاً لا يرضيهم. لذلك كان يخشى ثورتهم عليه وإلحاق الأذى به.

موقف (التوحيدي) من السلطة؟: في القرن الرابع الهجري، عصر تفكك الدولة، تقلّدَ عددٌ كبيرٌ من العلماء والأدباء، الوزارة والمناصب العالية، ولوجود هذه الطبقة (العلمية والأدبية) في دست الحكم، فتحت أبواب مجالسها للعلماء والأدباء، بل تسابق الوزراء على تقريبهم، فازدهرت المجالس والمناظرات، وأثّرت تأثيرا كبيرا على ازدهار الحركة الثقافية. ووسطَ هذا الحضور في رعاية السلطة للعالم والأديب، طمعَ (التوحيدي) ليكون واحداً من هذا الحضور، إسوةً بأقرانه ومعاصريه من العلماء والأدباء. وأن ينال مثل نوالهم في الجاه والأموال.

(وكان التوحيدي طمّاعاً شديد الرغبة الى عطاء الوزراء، ومن أساليب (التوحيدي) التي كان يستخدمها في الاستعطاف والتزلف، يُبالغُ بالثناء والخنوع والاستجداء أولاً، وتصل بهِ الحال حدّ المغالاة، ثمّ ينقلبُ على ذات الوزير أو العالم بالذّم والقدحِ والثلب.) [٨: ١/ ٨٩].

فلم يكنِ (التوحيدي) متصالحاً مع السلطة، بقدرِ ما كان متصارعاً، يعيش حالة صراع وخوف ومطاردة، وظهر جلياً في عدم نشر بعض كتبه إلا بعد حين، مثل كتاب(مثالب الوزيرين)، وكتاب (الامتاع والمؤانسة) على سبيل المثال لا الحصر.

ففي كتاب (مثالب الوزيرين) يقول: («مثالب الوزيرين» لا يترك سيئة تسلب المرء الشرف إلاّ ويلحقها بالصاحب بن عباد وابن العميد، فها هو ذا يخاطب الأخير قائلاً: هل عندك أيها الرجل المدعي للعقل، المفتخر بالمال والمتعاطي للحكمة إلاّ الحسد والنذالة؟ تزعم أنك من شيعة أفلاطون وسقراط وأرسطوطاليس، أو كان هؤلاء يضعون الدرهم علي الدرهم... أو أشاروا في كتبهم بالجمع والمنع ومطالبة الضعيف والأرملة بالعسف والظلم، فيا مسكين إستح فإنك لا مع الشريعة ولا مع الفلسفة وقد خسرت الدنيا والآخر)[١٥: ٢١٥].

هكذا عاش (التوحيدي) معاركه، مع الوزراء(ابن العميد–ت٣٦٦هـ)، و(ابن عبّاد –ت٣٨٥هـ)،اللذان احتقراهُ وعاملاهُ معاملةً سيئة، ثم مع الوزير المهلبي(ت ٣٥٢هـ)، (الوزير المهلبي الحسن بن محمد بن عبد الله

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

بن هارون، من ولد المهلب بن أبى صفرة الأزدى، أبو محمد: من كبار الوزراء، ادباء الشعراء. اتصل بمعز الدولة بن بويه، فكان كاتبا في ديوانه، ثم استوزره. وكانت الخلافة للمطيع العباسى. فقربه المطيع، وخلع عليه، ثم لقبه بالوزارة. فاجتمعت له وزارة الخليفة ووزارة السلطان، ولقب بذي الوزارتين. وكان من رجال العلم حزما ودهاءً وكرما وشهامة. وله شعر رقيق، مع فصاحة بالفارسية وعلم برسوم الوزارة. ولد بالبصرة، وتوفى في طريق واسط، وحمل إلى بغداد)[٩: ٢/ ٢١٣]، المهلبي الذي نفاه من العراق بسبب وشاية في سوء عقيدته.

(قراءة المتلّقي)

أكّدتْ دراساتُ ما بعد الحداثة، على دور (المتلقي) في انتاج وإضاءة النّص بكل صوره، ويظلّ النّص أيّاً كان شكله نصّاً مفتوحاً للقراءة والتأويل في كل عصر، فالقراءة عنصرٌ متغيّر باختلاف وتغيّر الأدوات والرؤية والثقافة، وقد جاءتْ نظريات ومدارس نقدية أنصفت القارئ، وأعطته مكانةً في إنتاج النص من جديد وفق تأويلاته وثقافته. ومنها ما أوردهُ (رولان بارت) في نظرية(موت المؤلف)، ثم جاءت نظرية التّلقي لتلقي ظلالها في الساحة النقدية لتضع (القارئ/ المتلقّي) في مكانهِ ومكانتهِ الصحيحة.

الجانب النظري للتّلقي في الكتاب/ تكون قراءتنا في كتاب (الامتاع والمؤانسة)، وفق ما استلمناه من دلالات ومعانٍ وما أُعتملَ في العقل، وما تأثّرتْ به النفس، وما أحسسناه، على قدْرِ ما نملك من بعض خبرة وتجربة.

يشير (د. الشريف مرزوق) في بحثه الموسوم(نظرية التلقي وأطروحاته)وحسب مصادر البحث، أن نظرية التلقي تهتم بالعنصر الثالث من العملية الاتصالية المكوّنة من (المُرسِل–الرسالة– المتلقي)

ومعنى التلقي: استقبال الرسالة، والرسالة هي (النّص) بجميع أشكاله، وهو نشاطٌ انساني. وتندرجُ (نظرية التلقي) ضمن الحقول المعرفية الحديثة التي أعطتْ دفعاً قوياً للإهتمام بالمتلقي باعتباره الفاعل الحقيقي والمشارك في انتاج الدلالة والمعنى.

وأن النظرية تُبنى على: أفق التوقعات للنص، والمسافة الجمالية للنص، وملء الفجوات، ثم القارئ الضمني. وكذلك هناك اشارات الى وجود متلقي سلبي، ومتلقي ايجابي ووضّحه أن هذا الايجابي أمّا أن يكون متلقي مقتصد، أو نمط من التلقي البياني، أو التلقي المختص، وأخيراً التلقي المتدبر. وربطَ الباحثُ بين نظرية التلقي ذات الأصول الألمانية على يد روّادها(ياوس وآيزر)، وما يدّخرهُ التراث العربي من أسس لهذه النظرية مبثوثة في كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ، و(عيار الشعر) لإبن طباطبا، و (دلائل الإعجاز) لعبد القاهر الجرجاني، و(منهاج البلغاء) لحازم القرطاجني. هناك إشارات لــ (المُخاطِب، والمُخاطَب، والخطاب الأدبي) وإشارات الى منازل المخاطبين وأقدارهم الاجتماعية وأحوالهم الفكرية، وما تقوله العرب(لكل مقام مقال، ولكل مقال مقام)، فهي دلالة على الاهتمام بالمُخاطّب، (خاطبوا النّاس على قدْرِ عقولهم)، فلكل فئة كلام ولكل طبقة مقال[١٦: ١٩٢– ٢١١].

الجانب التطبيقي للتلقي في الكتاب

أركان التلقّي في الكتاب/ في قراءتنا للكتاب وجدنا أن أركان التلقي تتمثل:

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

أولاً: المُرسل (المُخاطِب): مؤلف الكتاب (أبو حيّان التوحيدي): وهو عالم موسوعي(لغوي ونحوي وأديب وفيلسوف،...). وله مصنّفات في مختلف أنواع المعرفة. وأرى أن المرسل(المؤلف) يتشظّى الى مرسلين عدّة، يتعدّدُ ضمنياً في طرح آراء وأفكار عدد كبير من العلماء.

ثانياً: الرسالة: تتماز الرسالة هنا في كتاب (الامتاع والمؤانسة) أنها ثنائية، أو ذات وجهين، فالوجه الأول للرسالة وهو الأصل (المبدأ الشفاهي) فالرسالة بدأت مشافهة، ثم انتقلت بعد حين الى رسالة مكتوبة، كتب تفاصيل الليالي (المؤلف/ التوحيدي) الى (أبو الوفاء المهندس).

ثالثاً: المتلقي: والمتلقي في كتاب (الامتاع والمؤانسة):

١–الوزير (أبو عبد الله بن سعدان)/ الذي قرّبَ (التوحيدي) في مجلسه.

٢–العالم البوزجاني(أبو الوفاء المهندس) الذي عرّفَ وأوصل (التوحيدي) بالوزير وجعله من جلسائه، وهو (المهندس) منْ طلَبَ من (التوحيدي) بعد أن أكمل لياليه مع الوزير، أن يدوّن لهُ ما جرى في مجلس الوزير.

٣–مجاميع من العلماء الذين حضروا مجلس الوزير.

٤–جمهور قرّاء الكتاب.(المتلقي الذي يستمر بقراءة الكتاب في كل عصر).

حينما نقول (الرسالة) وصنّفناها (شفاهية–ومكتوبة)، فهذه الرسالة لم تأتِ بإرادة (المُرسل) أو أن المُرسل منْ كتبَها حسب مزاجه ورؤيته تلقاء نفسه، لأن الرسالة كانت مشروطة، فالوزير هو الذي يقترح المواضيع وفي يدهِ وعقله وفكره يتحكم بإدارة كل ليلة.

ملاحظات وأسئلة المتلقي في الكتاب

المتلقي في الكتاب، هناك متلقّون عدّة، فالمتلقي الأول هو (الوزير/ ابن سعدان)، يحمل ثقافة عالية، وهو متلقي مختص ومتدبر، فهو عالم قبل هذا وذاك، يقترحُ المواضيع، وكان يطيلُ النظرَ والتأملَ في أجوبة (المُرسل/ المؤلف)، ويعارض، ويستحسن ويستهجن، ويستطرد في طرح الأسئلة.

أمّا (المهندس/ البوزجاني)، لم نقرأ أنهُ عارض أو اعترض، أو استحسن، أو استهجن، سوى الاشارات والوعيد التي أطلقها بوجه (التوحيدي) في طلبه بكتابة كلّ ما دار في مجلس الوزير.

المتلقي (المعاصر): وضعَ أسئلةً ظلّت تجول بخاطره، ذكرها في المبحث الثاني ومنها:

١–هل نجح (التوحيدي) في أن يكون جليساً؟؛– لماذا الخوف من نشر (الكتاب)؟؛ والسؤال الأخير: كيف كانت علاقةُ (التوحيدي) بالسلطة.

٢– عبر ما قرأنا، وجدنا (الوزير) هو المحرك الرئيس لكل ما دار في الليالي والكتاب، ولهُ اطلاع ومعرفة في معظم الأحداث التي جرت والروايات والاختلاف والخلاف في الآراء في الأمور والمواضيع التي طُرحتْ.

٣– كان (الوزير) يسألُ ويختارُ مواضيعاً في ألأوجه الخلافية وفي اعتراضات العلماء. ويسأل ويحدّد وقائع بعينها وأشخاص بعينهم، وهذا دليل على سعة اطلاعه وما يتعرّف عليه عبر مجلسه وجلسائه.

٤–الوزيرُ(ابن سعدان) يسألُ (التوحيدي) عن مجالس علماء لا يذكرونه بخير، بحيث يجعل القارئ يضع علامة استفهام أمام شخصية (التوحيدي)، الذي يسايرهُ في طلبه وطلباته، بأن يذكرَ لهُ كل ما دار، بل يصل النقل الى درجة الوشاية بعدد من العلماء.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

٥-يوثّق الوزير الأمور التي يراها مهمة، ويطلب من (التوحيدي) أن يدوّنها على رقعة فمثلاً:

في بعض الليالي يكتبُ (الوزير) رقعةً ويطلبُ من (التوحيدي) أن يسأل أصحاب الرأي والمشورة من العلماء ليحدّثوا ويشرحوا ويجيبوا. أو يطلبُ من (التوحيدي) أن يدوّن اجابته لمسألة ما على رقعة، أو أن يطلب منه أن يكتب في جلسة أو ليلة قادمة مدوّنةً في موضوع محدد.

نطرحُ هنا سؤالاً؟ لماذا يسألُ الوزيرُ أبا حيّان عن بعض الأسماء والمجالس للعلماء؟ ولماذا يطلبُ منه تدوين رأيه أو موضوعاً ما في رقعة؟؟ بينما لم يطلب منه تدوين أكثر المواضيع؟

أرى أن (الوزير ابن سعدان) في بعض المواضيع كان يقف موقف المتشكك في (التوحيدي) فيطلب منه الردَّ وذكرَ ما أورده من آراءٍ مكتوبةٍ، ليتفحصها ويتحرّى الصدقَ من دونه، ودليلُنا على ذلك، قول (الوزير) مخاطباً (التوحيدي): (وكُنْ على بصيرةٍ أنّي سأستدِلّ ممّا أسمعهُ منك في جوابك عمّا أسألكَ عنه على صدقك وخلافه، وعلى تحريفك وقرافه.)[١٢: ١/ ٢٠].

وما كان يطلبه (الوزير) من (التوحيدي) في ذكر ما يُقال في بعض المجلس، لمعرفته بعِداء (التوحيدي) لكثير من العلماء، بل أن عدداً من العلماء كانوا يتربصون بهِ، وأنّ (التوحيدي) تمادى في ذكر (عيوب) عدد كبير منهم، ومن بينهم ندماء الوزير (ابن سعدان).

٦-كتابة الليالي، نجد بعض الليالي يتجاوز عددُ صفحاتها خمسين صفحةً، في حين البعض الآخر صفحتين أو ثلاث.

٧-وَرَدَ تحت عنوان (الليلة العاشرة/ج١/ص١٥٩) دمج معها (الليلة الحادية عشرة والثانية عشرة) ولم يفصلهما تحت عنوان مستقل. وهنا اللوم على المحقق، أو الناسخ، فلم يُشرِ المحقق الى سبب وضع ثلاثِ ليالٍ تحتَ عنوانِ ليلة واحدة..؟؟

وهذا يجعلنا نشكك، أنّ في تدوين بعض الليالي التي دونت بصفحة وصفحتين، هناك قطع فيها، قطعٌ من تدبير (أبو الوفاء المهندس) الذي أراد أن يخفي بعض ما كتبه (التوحيدي) في ذكر أسماء ومثالب رجال السلطة والعلماء، وتنفيذاً لرغبة ووصية (التوحيدي) في اخفاء ما كتبهُ، أو بسبب إهمال أو عدم دراية من ناسخ الكتاب، أو ما فات المحقّق من تدقيق ونقد للمخطوط.

٨-حَذَرَ (التوحيدي) في الشعر، وعدم تدقيقه فيه، ففي معظم الأبيات المذكورة في الكتاب، لا يسند الأبيات الشعرية الى قائلها، فحينَ يذكرُ أبياتاً، يقولُ مثلاً: (أنا أعجبُ من جهلِ الشاعر الذي قال..، كأني لم أسمع قول الأول، وما أحسن ما قال الأوّل، فأنشدتُهُ ما حضر في الوقت لأعرابي، قال شاعر، وقال آخر، وإني أحسدُ الذي يقول....). ولم يعلّقْ محققُ الكتاب حول هذه المسألة، ولم يقمْ بواجبه محقّقاً أن يردّ الأبيات لشعرائها.

نرى أنّ (التوحيدي) مهتّمٌ بالنثر، وبرصفُ الكلمَ، وموسيقى وشعرية الجملة، أكثر من اهتمامه في الشعر، الذي جاء من حافظته شلالاً، ولم ينسبْ معظمَ الأبيات الى شعرائها، وقد ورد في حديثه مع (الوزير) -على سبيل المثال-: في الليلة الثالثة،(قال-الوزير-: لمَنْ هذا البيت؟ قلتُ: لا أحفظ اسمَ شاعرهِ، ولكن أحفظ معهُ أبياتاً.) [١٢: ١/٤٩].

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وفي الليلة الثامنة: (لستُ من الشعر والشعراء في شيء وأكرهُ أن أخطو على دحض، وأحتسي غير محض) [١٢: ١/ ١٣٤].

نتائج البحث

نضعُ هنا، نتائج البحث، وما توصلنا اليه من قراءة على مقدار ما فهمناه وتعلّمناه، وما يمتلك المتلقي من ثقافة وإطّلاع، وهي نتائج ليست جازمة ولا مُلزمة، لأن المتلقي متغيّر، ومتنوّع المشارب والثقافات، ولعلّ غيري ستكون قراءته أفضل منّي، ويضعُ ما غفلتُ عنهُ أو سهوت أو أخطأت، فهي قراءتي التي ستظل قاصرةً أمام قراءات أخرى ستمنح هذا الإرثَ حقّه.

نحنُ أمامَ أعمدة الكتاب(التوحيدي– أبو الوفاء المهندس– الوزير ابن سعدان) هذا الثلاثي هم أعلام في العِلم والمعرفة. إذن ما جاء في الليالي عن طريق المشافهة والسجال والحوار، وما جاء من عرض الآراء مكتوبة أمام (المهندس)، فقد مرّتْ على الكتاب الذي وصلنا عمليات تدقيق وتصويب، وحذف، وإضافة. بمعنى أن الكتاب مرّ بمراحل من إعادة النظر فيه، فلم يكنْ مرتجلاً بل كأنهُ خرجَ من مؤسسةٍ علمية. ونجدُ في الكتاب أخبار وعلوم ومعارف غير مذكورة في كتب الأمالي أو الحكايات أو المجالس، بل الكتاب كان مصدرا لعدد كبير من كتب التراث التي اهتمت بمختلف العلوم.

أثبتَ (التوحيدي) مقدرته العلمية في طرح آرائه الخاصة المبثوثة في الليالي الأربعين، وأنهُ يحملُ ذاكرةً موسوعية من آراء العلماء الذين درسَ على أيديهم أو حضر مجالسهم. أربعون ليلةً في مجلس عِلمٍ فيه خيرة علماء عصره، ووزيرٍ يمتلك العِلم والمعرفة ليس بالأمر السهل أن يستمر (التوحيدي) ليكون فيها متحدّثاً وراوياً وإخبارياً.

إنّ (التوحيدي) لديه جمالية الأسلوب وإتقان السرد، وايضاح ما غمض، وصلة المحذوف، وكذلك اتمام النقص، وملء الفجوات. في الجانب العلمي لا غبار على شخصية (التوحيدي)، لكنّنا نجد الخلاف في سلوكه وأخلاقه مع الوزراء والعلماء، فلم تكن أخلاقه تعدلُ علمَهُ وأدبه، فهو يعتريه الضعف والخوف، والذّم، وذكر المثالب، وكان طمّاعاً شديد الرغبة الى العطاء. لمْ يسلمْ من ذمّه حتى منْ أحسنوا اليه.

لم يكن (التوحيدي) جليساً ناجحاً، ولم يمتلك شروط الجليس/النديم، التي ذكرتها كتب المجالس. كانت من سماته الخوف في نشر بعض كتبه، لأنه ذكر فيها المثالب والكلام السيء والتعرّض للعلماء وأصحاب السلطة. هناك وهن في تحقيق الكتاب، بعدم التدقيق في بعض الليالي، التي تصل صفاحتها الى صفحتين أو أكثر بقليل في حين الليالي الأخرى خمسين أو أكثر من الصفحات. ولم يدقّق المحقق في الأبيات الشعرية الواردة في الكتاب وإسنادها الى قائليها.

نرى بأن (الوزير/ابن سعدان) انتفع من (التوحيدي) في مجال آخر غير مجال العلم والمعرفة، هو جانب التقصي (الأمني) بتحديد مجالس بعض العلماء، وآرائهم، وما يطرحون من آراء في الوزير (ابن سعدان). الكتاب

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

صورة صادقة، واضافة كبيرة للتراث العربي، لمجلسٍ في عصرٍ مليء بالصراعات السياسية والفكرية والمذهبية والعلمية.

اشتغلَ الباحثون والدارسون في كتاب (الامتاع والمؤانسة) وفق نظريات الحداثة وما بعد الحداثة، فكانت في دلالات الأنس، والسرد في الكتاب، والآخر في كتاب الامتاع والمؤانسة، والقناع الأدبي القديم في كتاب الامتاع والمؤانسة، وشعرية النثر في الكتاب، وتمظهرات التفاعل النّصي، وتشظي الأنا عند أبي حيان التوحيدي، ... وغيرها، وهذه دلالة على أهمية الكتاب، وأنه يُقرأ في كل عصر قراءةً تثري، وتفتح أبواباً لفك طلاسمه ورموزه، وإحياء ما فيه من جمال وابداع وثراء فكري.

لعلّ قراءتنا المتواضعة هذه أضافت شيئاً، مما تعلمناه في مدرسة (أبي حيّان التوحيدي)، الذي جلسنا وتقاسمنا الليالي الأربعين معه. والله ولي التوفيق.

CONFLICT OF IN TERESTS
There are no conflicts of interest

المصادر والمراجع

[١] زكريا ابراهيم، أبوحيان التوحيدي، سلسلة أعلام العرب، الدار المصرية للتأليف والترجمة– القاهرة، ٢٠١٧م.
[٢] ياقوت الحموي، معجم الأدباء، دار احياء التراث العربي–بيروت، د.ت.
[٣] أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون،مطبعة دار الفكر–بيروت،ط١، ١٩٨٩م.
[٤] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر–بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
[٥] مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب(ت٤٢١هـ)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، المحقق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية– بيروت، ٢٠٠٣م.
[٦] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي– بيروت، ١٩٩٧م.
[٧] ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، المحقق:عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي–بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
[٨] أحمد محمد الحوفي، أبو حيان التوحيدي، جزءان، سلسلة قادة الفكر في الشرق والغرب، مكتبة نهضة مصر بالفجالة.
[٩] الزركلي، معجم الاعلام، دار العلم للملايين–بيروت، ٢٠٠٢م.
[١٠] ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة–بيروت، ١٩٦٨م.
[١١] الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٢، القاهرة، ١٩٥٦م.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

[١٢] أبو حيان التوحيدي،الامتاع والمؤانسة، تحقيق:أحمد أمين وأحمد الزين،منشورات دار مكتبة الحياة،لبنان، د.ت.

[١٣] الدينوري، عيون الأخبار، دار الكتب العلمية –بيروت، ١٤١٨هـ.

[١٤] يحيى الجبوري، مجالس العلماء والأدباء والخلفاء، دار الغرب الاسلامي،ط١، ١٤٢٧ه/ ٢٠٠٦م.

[١٥] التوحيدي، مثالب الوزيرين، تحقيق: علي بن محمد الكيلاني، دار الفكر–دمشق، ١٩٦١م.

[١٦] نظرية التلقي وأطروحاته، د. الشريف مرزوق، جامعة أم البواقي– الجزائر، مجلة النص، المجلد ٧، العدد ١ لسنة ٢٠٢١.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq